



تمر الثورة السورية في هذه الأيام بمنعطف خطير وتحول كبير في قواعد الصراع، يضيف الى الصراع العسكري صرعاً سياسياً لا يقل ضراوة وشراسة عن المعركة العسكرية.

هذه المعركة السياسية تخاض على ثلاثة مستويات:

- 1-على مستوى الإسلاميين فيما بينهم في تحديد سقوفهم الدينية المقبولة والخطوط الحمراء التي لا يجوز المساس بها.
- 2- وعلى مستوى العلاقة بينهم وبين العلمانيين في صراع هوية الدولة وتحديد هويتها.
- 3- وعلى مستوى النظام العالمي والمحاور الدولية المتفاوتة في نظرتها لحل المسألة السورية.

هذا الأمر يتطلب من التيار الإسلامي في الثورة السورية أن ينجز ثلاثة تحديات قبل الخوض في المعركة السياسية الداخلية والخارجية:

إيجاد الجسم السياسي المخول بإدارة الملف السياسي للثورة السورية؛ تمثيلاً وتفاوضاً وتوافلاً.
بلورة المشروع السياسي في رؤية واضحة تستطيع تسويقها لدى الرأي العام العالمي؛ خصوصاً مع المحور الذي يقترب من رؤيتنا ومطابقنا.

تهيئة القواعد والجنود لقبول الاستحقاق السياسي، وتحقيق النقلة الشعورية من الجهد العسكري إلى الجهد السياسي؛ حتى تعمل القيادة على قاعدة صلبة من الثقة بينها وبين قواعدها.

تعاني الحركة الإسلامية أزمة حقيقة في تحديد الموقف المناسب بين الرخصة والعزيمة السياسية منها والجهاد، ذلك أنها تدخل ميدان السياسة بروح قتالية وترفع عن الرخص.
هنا لا بد أن ننوه بمعنى الترخيص السياسي:

الرخصة في الشرع" (ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح) روضة الناظر وجنة المناظر ج 1 ص 190
وقال الأمدي : "الرخصة: قال أصحابنا الرخصة ما جاز فعله لعدر مع قيام السبب المحرّم، وهو غير جائع، فإن الرخصة كما قد تكون بالفعل قد تكون يترك الفعل، كاسقاط وجوب صوم رمضان والركعتين من الركعية في السفر. فكان من الواجب أن يقال: الرخصة ما شرع من الأحكام لعدر". الإحکام في أصول الأحكام ج 1 ص 132
يقول سفيان الثوري كما روى عنه الإمام النووي في مقدمات المجموع هذه الكلمة المضيئة: "إنما الفقه الرخصة من ثقة أما التشديد فيحسن كل أحد".

وهنا لا أدعى أن العمل السياسي هو من الرخصة؛ بل قد يكون من أمهات العذائم وتتوسيع لجهاد طويل، لما فيه من مجاهدة للنفس التي تأبى قبول تحقيق جزئي لمطالبها وتتطلع إلىأخذ المطالب كاملة غير منقوصة.

هنا على القيادة وهي تدير العمل السياسي معرفة قدرات الأفراد لدى الجماعة، فهي التي تحدد إيقاع السير وإمكانيات المواجهة قبل اتخاذ القرار الجهادي والسياسي، وهو الضامن لنجاح القيادة في تحريك الجماعة نحو غايتها. فالقيادة التي تتخذ قرارها دون معرفة لقدرатаً أفراد الجماعة قد تسوقها بذلك إلى الإنتحار والتلهك بتحميلها من التحديات ما لا تطيق.
وهنا نقصد القدرات المادية في تحمل الأعباء، والقدرات الإدراكية في استيعاب المرحلة واستحقاقاتها . جاء في الحديث الصحيح (لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه ، قالوا : و كيف يذل نفسه ؟ قال : يتعرض من البلاء ما لا يطيق) .

قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" 2 / 172 :

رواه الترمذى (2 / 41 - بولاق) و ابن ماجه (4016) وأحمد (5 / 405)

[وبنظرة إلى السلوك السياسي الرشيد للقيادة النبوية نلاحظ:](#)

لم يفرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب والمواجهة على الأنصار يوم بدر وما قرر الحرب إلا بعد موافقتهم، واستشارتهم فجعل من قرار المواجهة خياراً عاماً اشتركت الجماعة في صياغته، وهذا يستدعي الجماعة أن تتحمل مسؤوليتها كاملة أمام النتائج.

مصالحة قرار الأمة سيجعل القرار فاقداً للتأييد الشعبي منفصلاً عن قواعده، وقد ينظر إليه على أنه نوع من الافتئات، فما بال البعض يريد أن يزج الأمة في محاربة العالم ودون أن توكله الأمة بقرارها؟!

هنا لا بد للقيادات أن تحذر من الخطوات المتتسارعة والقرارات المفاجئة التي لم تتهيأ القواعد لتقبلها، ولا تغتر بأصحاب السقوف العالية فأن السير على سير الأقوى يؤدي إلى تساقط الأفراد في طريق الدعوة والجهاد حال نفاد الطاقة، لأنه من المسلم به بداعه تفاوت البشر بالقوة والتحمل؛ وهذا التفاوت وجد حتى بين الأنبياء فأولوا العزم من الرسل ليسوا كغيرهم من

والسير على سير الأضعف قد يؤدي إلى تأخر الحصاد، ولكنه يحافظ على تماسك الجماعة؛ وذلك برفع همة المبطئين وكبح جماح المتسرعين؛ فتلقي الجماعة عند نقطة وسط.

هنا لا بد من التمييز بين الضعف والوهن نراعي حالة الضعف ولا ننساق بالتنازل لإرضاء الواهلين. فالمحافظة على تماسك الجماعة مع تأخر الوصول والحاداد خير من تفتيت الجماعة مع سرعة الوصول ولن يكون هناك حصاد، كما أن تخفيف الصلاة مع تكثير الجماعة أولى من إطالة الصلاة مع افتتان بعض المسلمين بترك الجماعة.

لذلك كان التوجيه النبوى للأمة أن تسير على سير الأضعف، وكانت التوجيهات النبوية في هذا المضمار صارمة واضحة؛ فلابينغي للأمير أن يحمل الأمة على العزيمة كرها وإن أخذ بها في خاصة نفسه.

هاجر عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاهراً متحدياً وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفاً موارياً، ليس لأن عمر أشجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن فعل عمر يبقى تصرفًا شخصياً، وفعل رسول الله محل اقتداء وتأسى، فلو فعل ذلك لشق على أصحابه المتابعة.

حتى في قضية الجهاد ذروة سنام الإسلام كان يختلف عن الغزوة شفقة بأمتها، قال صلى الله عليه وسلم: (لولا أن أشقاً على المسلمين؛ ما قعدتُ خلافَ سريةٍ تغزو في سبيلِ اللهِ أبداً؛ ولكنّي لا أجدُ سعنةً فيتبعونِي، ولا تطيبُ أنفسُهم فيتخلّفونَ بعدِي). أخرجه البخاري (36)، ومسلم (6/33)، وأبو عوانة (5/24)، والبيهقي (9/157)، وأحمد (2/231) و(384)

والمتابع لكثير من أحاديث السنة يجد امتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كثير من الأعمال التي يحبها لكنه يمتنع خشية أن تفرض على أمته، كما يمتنع عن الخروج للتراويم مخافة أن تفرض على أمته فيشق الأمر عليهم. مشكلة بعض الجماعات الإسلامية يبطلون الاستدلال بالسيرة النبوية وبما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تشابهت الحالة ضعفاً ومكنته، بناء على أن ما فعل في السيرة حال الاستضعاف وقع لما كانت الشريعة لم تكتمل أما وقد اكتملت شريعة الله تعالى فلا يجوز ذلك بحال.

بل إن منهم من يبطل كل العمل السياسي بآية السيف ويضع الأمة أمام خيارٍ أحادي لا يقبل التعدد، وهذا خطأٌ بين لأننا لا نقول بأن التزام الجماعات الإسلامية بمراحل السيرة النبوية وإسقاط مراحلها على عمل الجماعة هي مسألة توقيقية . وإنما نقول أن ارتباط التكليف بالقدرة حكم ثابت لا يلغيه اكتمال الشريعة بل هو من كمال الشريعة وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في السيرة من الترخيص وترك العزيمة هو من هذا الباب، وكثير من الأحاديث الصحيحة التي تبدأ (لولا أن أشقاً على أمتي)

وجدنا من يحمل الأمة على العزيمة في زمن الاستضعاف بطريقة التلبيس في توصيف الحالة عن طريق ضخ ثقافة معينة لا تتحملها الساحة بل تتطلب غيرها تماماً . كمن يُدرِّسُونَ أحكامَ جهادِ الطلبِ في ساحةِ الجهادِ فيها جهاد الدفع لسببٍ وحيدٍ أنهم لا يُعرفونَ الجهادَ إلا فرعاً عن التكفير.

بعض التيارات الإسلامية تُعرض عن الرخصة إلى العزيمة لا لقناعتها وليس ورعاً؛ وإنما بسبب دخول مراتون من المزايدات مع الجماعات الأخرى التي تنتظر منها هكذا خطوة لتقلب مزاج الأتباع على قادتها وكسب أتباع جدد، من خلال المتاجرة وتصوير الرخصة بالخيانة وكذلك التزي بأردية الزور والتسبّب بالمفقود لدغدة عواطف الأتباع الذين يطربون لهذا النوع من الخطابات والشعارات.

فقد عرفنا كثيراً من القادة أعرضوا عن إصلاحات وترددوا في قرارات مصيرية وتركوا أمر رشدٍ خوفاً من خسارة بعض الأتباع السفهاء الذين قد يفسرون الرخصة طعناً في الدين وخيانة لله ورسوله، حتى غدت خشية القادة من الأتباع أكثر من

خشية الأتباع للقادة حرصاً على عدم تخلخل الجماعة.

وهكذا نجد قيادات التيار الاسلامي تخرج في رسم سياستها من دوائر السياسة الشرعية الى التقى بمزاج القوى النافذة داخل تياراتها وهكذا تهدر مصالح الأمة في سبيل الحفاظ على الفصيل، فتعيش القيادة حالة من الحجر على التصرفات والقرارات الشرعية في مؤداتها من خلال إحاطتها بمحالس شورى صورية ليس مهمتها تقديم الشورى بقدر ما تكون مهمتها ممارسة الحجر على القيادة و تعطيل القرارات المصيرية، والسبب نوع التغذية التربوية التي نما عليها هؤلاء ضمن القوالب الجامدة؛ والتي يبوء بإثمامها موجهون أساووا التربية بالتفصيف الأحادي الذي يراعي الحالة العسكرية الجهادية فقط، فلما وصلوا إلى مرحلة القطف السياسي للجهاد العسكري وجدوا القاعدة غير مهيبة للانتقال إلى الجهاد السياسي أو حتى أن تقبل رؤية قياداتها تخوض غمارها بسبب فقد التوازن في التوجيه والإعداد، فالنظرية إلى العمل السياسي عند أبناء التيار نظرة مفعمة بالتخوين وسوء الظن، وهذا بسبب ضعف التدبر للسيرة النبوية.

نجد في الحديبية الأيدي التي امتدت لصلح الحديبية كاستحقاق سياسي هي نفس الأيدي التي امتدت لبيعة الموت تحت الشجرة قبلها، فالتربيـة الجهـادية والسيـاسـية تسـير سـواء بـسوـاء.

كان هناك من يرى القرار السياسي للقيادة النبوية إعطاء للدنيا ولكن الأغلبية كانت على ثقة بكل ما يصدر عن قيادتها، رغم الشروط التي كان يراها البعض مجحفة بحق المسلمين، ولكن ما لم يفطن له الكثير أن أعظم نصر للمسلمين في الحديبية هو حصول المسلمين على اعتراف بهم ككيان ودولة تبرم المعاهدات، وهذا من أهم العوامل لقيام الدولة مما لا يفطن له أبناء التيار الإسلامي الذين يبحثون عن شكل دولة دون اعتراف من المجتمع الدولي بها.

زمن الأمثلة على دعم قرارات القيادة وأهمية عامل الثقة في قضية تحول القبلة:

لقد كان تغيير القبلة أمراً عظيماً على قلوب أصحاب رسول الله، وكانت الحكمة لعلم الله من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، ولكن لما كانت التربية الإيمانية لأصحاب رسول الله راسخة وثقتهم بدينهم ورسولهم كان التسليم المطلق، حتى إنهم غيروا اتجاههم بعد ركعتين من صلاة رباعية بأثناء الصلاة وسمى المسجد مسجد القبلتين.

قال تعالى {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَبَعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِيبَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الدِّينِ هَذِهِ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} (143) البقرة
في الآية ملحوظ لطيف وهو: تقدير الجهد السابق للجماعة له أثره في ارتضاء الأمر اللاحق،

هذا لما كانت الجماعة على حالٍ واحد من الایمان والتسليم، ولكن بعد الفتح مجرد تصحيح القبلة لم تُقدم عليه القيادة النبوية لعدم الثقة بمسلمة الفتح حديثي العهد بالجاهلية، ثم إن تصحيح القبلة ليس مكسباً استراتيجياً حتى يشوش الناس من أجله؛ فتركه كان عين السياسة الرشيدة، أما تحويل القبلة فكان خطوة لا بد منها لتحقيق المفاسدة في الهوية مع أهل الكتاب والاستقلال بقبلة خاصة بالمسلمين.

من هنا نخلص إلى ما يلي:

لابد للفصائل المسلحة في سوريا من مد جسور الثقة بينها وبين قياداتها قبل الخوض في غمار العملية السياسية، حتى تنجح القيادة في العبور مع الفصيل من الجهاد والنصر العسكري إلى النصر السياسي، تحاشياً لحملات التخوين والتفسيق والإهتمام بإعطاء الدنية، مما يؤدي إلى إجهاض المكاسب السياسية للثورة السورية والعودة إلى نقطة الصفر وخسارة أوراق القوة في مقامرة التخوين، وتضييع لمرحلة طويلة من البذار والجهد والحراثة. فالخطأ عند جni الثمرة سيهدى جهداً طويلاً قد يتطلب منا انتظار دورة زراعية أخرى حتى تنضج الثمار من جديد.

المصادر: